

(خاتم الأنبياء ﷺ)

بعدما رفع الله نبي الله عيسى بن مريم ﷺ إلى السماء ونجاه من القوم الكافرين، ظلت الأرض ما يقارب ستة قرون بلا نبي أو رسول، فانتشر الكفر بالله، فأذن الله أن يرحم البشرية بخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ.

ولادة النبي محمد ﷺ

ولد النبي محمد ﷺ في عام الفيل، ولما ولد هدمت شرفات إيوان كسرى وانطفأت نار المجوس ورجمت الشياطين في السماء بمولد محمد ﷺ. ولد يتيماً فأواه جده عبد المطلب وفرح به ثم لما توفي آواه عمه أبو طالب، وأمه وهو صغير توفيت فأرضعته حليلة السعدية ولما جاءها محمد ﷺ كان خيراً لها، وبارك الله في غنمها وأموالها وشياها.

كان وهو صبي يلعب عند حليلة جاءه جبريل عليه السلام ففزع الأولاد وهربوا وبدأ يشق صدره ثم أخرج قلبه وغسله وأخرج حظ الشيطان منه، ثم أرجع قلبه والتأم صدره مرة أخرى.

حفظه الرب وعنه منذ صغره فلم يسجد لصنم قط ولم يشرب خمر ولم يأت فاحشة، ورعى الغنم حاله كحال الأنبياء.

أول زوجة يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم

تزوج النبي محمد عليه الصلاة والسلام من السيدة خديجة بنت خويلد رضي عنها فكانت نعم الزوجة والرفيقة والصاحبة بل لما خرج في تجارة رآه أحد الرهبان واسمه بحيرا قال من يرعى هذا الشاب؟ قال إنه عمه أبو طالب فقال الراهب بحيرا: هذا سيكون له شأن كبير وسيكون نبي هذه الأمة. قال ما أدراك؟

قال ما جلس أحد في هذا المكان إلا وكان نبي ورأيت يجلس فيه، ثم إن الغمام يظلمه حيث شاء ثم رأيت في كتفه خاتم النبوة، إنه محمد سيد الأولين والآخرين خير من وطأت قدماه الثرى على هذه الأرض

أحبه أهل مكة حتى سموه صديقاً أميناً فهو الصادق الأمين الذي أحبه كل أهل مكة بلا استثناء وترعرع في مكة المكرمة.

النبي محمد ﷺ قبل البعثة يختلي بنفسه في الغار

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختلي بنفسه في مكان يسمى غار حراء ويتعبد الله وحده فيه ويجلس الأيام والليالي وربما قضى شهراً كاملاً في غار حراء لوحده في ظلام الليل وحر النهار وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها تأتيه بالطعام والشراب وكان يجلس ويتعبد الله.

نزول جبريل عليه السلام على محمد ﷺ في غار حراء

لكن بينه وبين ربه ربما دعاء أو ذكر أو تسبيح ويجلس في الأيام والليالي وفي ليلة ظلماء كان النبي محمد ﷺ في هذا الغار وفجأة جاءه شيء من وراءه فضمه ولم يستطع التحرك فقال له هذا الشيء: اقرأ. قال ﷺ: ما أنا بقارئ. قال: اقرأ.

قال ﷺ: ما أنا بقارئ. قال اقرأ: قال ﷺ: ما أنا بقارئ. قال له:
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

إنها بداية البعثة وأول قطرة من قطرات الوحي. فخرج النبي ﷺ إلى زوجته
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ويقول لها زملوني زملوني دثروني دثروني.
وبدأ النبي يبلغ الناس وذهبت به خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إلى ورقة ابن نوفل
رضي الله عنه فأخبره أن ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي.

النبي ﷺ يبلغ الناس بأنه مرسل من الله ﷻ

بعد بعثته ﷺ قام على جبل الصفا يبلغ الناس الدين فقال أيها الناس إني نذيرٌ
لكم بين يدي عذابٌ شديد.

وأول من رد عليه عمه أبو لهب قال له تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟
وعذب أتباع النبي محمد ﷺ فبلال ابن رباح يعذب على الرمضاء ويوضع
الصخر على رأسه ويقول أحد أحد.

عمار ابن ياسر تذبج أمه أمامه ويدبح أبوه والنبي يمر عليهم وهم يتعذبون يقول لهم صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

خباب ابن الأرت يوضع على الجمر حتى يشوى ظهره ويذكرهم بالأمم السابقة يقول لهم كان يؤت بأحدهم في حفرة ويوضع المنشار على رأسه ويفرق نصفين ما يرده ذلك عن دينه شيئاً.

الكفار يعذبون ويقتلون أتباع النبي محمد ﷺ

يطوف النبي ﷺ بالبيت فيخنق حتى كاد يقتل فما كان يدفعه عنه إلا صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

يوم من الأيام كان يسجد في الكعبة فيوضع على رأسه سلى الجزور (قذارة ناقة بعد أن ولدت) حملوها ورموها على ظهره.

ومرت ١٣ سنة من الضرب والتعذيب والقتل حتى التجويع لمن يتبعون محمد ﷺ، وحاصر الكفار محمد وأتباعه ٣ سنوات حتى أن البعض كان يأكل ورق الشجر وصبر النبي وذهب إلى الطائف يبلغهم بالدين فتبعوه بالحجارة جاءه ملك يقول دعني أطبق عليهم الأخشبين فرد عليه قائلًا لا، أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.

الهجرة إلى المدينة المنورة والمشركون يطاردون النبي ﷺ

لما اشتد البلاء بالنبي محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فأذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ وفي ليلة الهجرة نام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي، وخرج

النبي إلى غار ثور مع أبي بكر وقبل أن يدخل الغار دخل أبو بكر فوجد فيه جحرين غطى أحدهما بثوبه والآخر برجله ونام النبي على رجل أبي بكر ولسعت دابة رجل أبي بكر الصديق ولم يتحرك فدمعت عيناه فسقط جزء منها على خد النبي ﷺ فاستيقظ قال له مالك يا أبا بكر. قال لا شيء لسعني شيء برجلي، قال أرني رجلك يا أبا بكر فدعا لها ونفث عليها فبرأت.

وظل النبي مع أبي بكر في الغار ليلة كاملة وفي الصباح كان المشركون يبحثون عن النبي صلى الله عليه وسلم فوصلوا إلى باب الغار فوقفوا عند باب الغار فبكى أبو بكر، قال ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا يا رسول الله.

قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

وظل رسول الله ﷺ وصاحبه رضي عنه أيامًا في هذا الغار، حتى أذن الله وعنه له بالذهاب للمدينة المنورة، وتبعهم سراقة رضي عنه وكان مشركًا قبل إسلامه فوصل للنبي وأبي بكر فنظر خلفه، قال أبو بكر إنه سراقة يا رسول الله، فقال لا عليك ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وفعلا ساخت قوائم فرس سراقة ولم يستطع القيام.
فرجع النبي إليه يقول يا سراقة هل لك أن ترجع وتعمي علينا؟

قال وما لي يا محمد؟

قال لك سوار كسرى!!

وفعلاً عمّ عليهم ووصل النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق ووصلا إلى المدينة المنورة واستقبلهم الناس أحسن استقبال.

دولة الإسلام بدأت من المدينة المنورة

عاش النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة وكان فيها يهود سالمهم وعاهدهم لكنهم غدروا وأرادوا قتله، وقتل من قتل وأجلى من أجل منهم وأسس الدولة الإسلامية وأقام الجهاد في سبيل الله وانتصر في أول معركة له مع المشركين في بدر.

فتح مكة المكرمة والجهاد في سبيل الله

وفي أحد أصيب واستشهد بعض أصحابه وتجمع المشركون والأحزاب حوله في الخندق فنصره الله وأيده وفتح الله عليه في الحديبية فتحًا مبينًا وفي السنة الثامنة رجع إلى مكة المكرمة فاتحًا، قال ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

وظل حياته يجاهد في سبيل الله ويقاثل أعداء الله وعكس، ونشر الدعوة في كل مكان وأرسل الرسل وبعث الناس بالكتب ووجه هذه الأمة إلى دينها وعلمهم أخلاقهم وكان يقاتل في حنين وهو عمره أكثر من ستين سنة. وكان يقول أنا النبي لا يكذب أنا ابن عبد المطلب.

قاتل في سبيل الله ولم يخش أحد في الله، كان يعلم أصحابه الجهاد والقتال ومكث في المدينة عشر سنين من جهاد لآخر حتى وعد أصحابه بفتح بيت المقدس وبفتح مشارق الأرض ومغاربها وأسس أمة إسلامية ودولة إلى اليوم بقيت آثارها وبقيت دعوته وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وقاتل في سبيل الله وجاهد في الله وعكس حق جهاده حتى لقي ربه.

نبينا ﷺ كان على كبر سنه يجلس مع الوفود حتى من غير المسلمين من أديان شتى يعلمهم شؤون دينهم، وأموره.

كان النبي أعبد الناس لربه وكان يكثر من الصيام وقيام الليل لوجه الله تعالى وكل ليلة كان يقوم الليل بل كان أحيانا يتجاوز نصف الليل وأكثره.

وفاة الرسول محمد ﷺ

حج الرسول ﷺ في السنة العاشرة وسميت الحجة بحجة الوداع فقد كان يقول لأصحابه خذوا عني مناسككم فلعلي لا أراكم بعد عامي هذا.

ولما رجع من الحج وفي بداية السنة ١١ للهجرة أحس النبي ﷺ بمرض وازداد به المرض واشتد به الصداع واستأذن أزواجه أن يبيت في بيت عائشة رضي الله عنها فبات عندها ليالٍ طوال واشتد المرض به وكان يقوم يحمل إلى الصلاة.

وفي ليلة من الليالي جاءه بلال ابن رباح رضي الله عنه يؤذنه بالصلاة فسأله النبي ﷺ أصلى الناس؟ قال لا يا رسول الله إنهم ينتظرونك ثم قال النبي وقد أعلته الحرارة والحمى قال: أريقوا علي ماء. فصبوا عليه ماء وإذا به يحس بشيء من نشاط فيقوم، فلما قام اشتد المرض به فسقط على الأرض وأغمي عليه ثم حمل إلى الفراش ثم قام، فقال: أصلى الناس؟ فقالوا لا يا رسول الله إنهم ينتظرونك. فقال: أريقوا علي ماء. فصبوا عليه ماء، ثم قام ليذهب إلى المسجد فلم يستطع فسقط، ثم عاد مرة أخرى إلى الفراش،

فظل هكذا حتى قال لبلال: مُرْ أبا بكر فليصل بالناس

فجاء بلال يأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، ولأول مرة يصلي رجلٌ آخر بالصحابة والرسول موجود.

فحزنت المدينة واشتد الهم لا يأتي النبي ﷺ ليصلي الصلوات هكذا، ظل ثلاث ليال بالفراش لا يستطيع أن يصلي بالناس، حتى أحس بالنشاط في يوم من الأيام فقام ﷺ وخطب بالناس وصلى بهم ثم قال إن الله وعك خير عبدًا بين هذه الدنيا وزهرتها وبين ما عنده فاختر العبد ما عند الله وعك، ولم يخبرهم أنه هو، فإذا بأبي بكر يبكي بين الناس؛ لأنه علم أنه نعي لرسول الله ﷺ.

ثم الصلاة التي بعدها لم يستطع ﷺ الخروج إليهم فانتشر الحزن بين الناس وعلاهم الغم والهم.

في اليوم الأخير نادى أهل بيته فاطمة رضي الله عنها يوصيهم ويذكرهم، فبكت فاطمة وقالت: وا كرب أبتاه، وا كرب أبتاه. فقال ﷺ: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

ولما جاء الضحى كان لوحده مع السيدة عائشة رضي الله عنها

ووضعه بين سحرها ونحرها ثم قال بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى.

ثم توفي صلى الله عليه وسلم وانتشر الخبر بالمدينة والناس بين مصدق ومكذب أما عمر ابن

الخطاب رضي الله عنه فقال من قال أنه مات لأضربه بالسيف. ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه

ودخل عليه وكشف الغطاء عنه ورآه ميتاً فقبله بين عينيه ثم خرج إلى الناس وقال

لهم أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن

الله حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

ومات النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بعد يومين، وإذا بفاطمة رضي الله عنها تقول للذين دفنوه: كيف

طاوعتكم قلوبكم أن تحثوا التراب على رسول الله؟! ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أثار كل شيء ولما مات أظلم في المدينة كل شيء.

اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تم وبحمد الله

حقوق النشر محفوظة لموقع: يعني